حَبَّذَا الأَرْضُ تَقُوْل

عبد الرحيم عبد الشكور الطويل

الكتاب : حُبَّذَا الأَرْضُ تَقُول (شعر)
المؤلف : عبد الرحيم عبد الشكور الطويل
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٠
رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٥١٢٧
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 048 - 5

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠١٤(٠٢)- ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
www.shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

حَبَّذَا الأَرْضُ تَقُوْل

شعر

عبد الرحيم عبد الشكور الطويل

شمس
للنشر والتوزيع

إلى الأرض .. منبتنا الأول وملاذنا الأخير ..

إلى الشهداء الساكنين السماء ..

إلى الكبار الحاملين بلادهم في تجاعيد الجبين كبرياء ..

إلى الصغار الحالمين بأجنحة وعدتهم بها العصافير

ذات فجر ..

إلى أمي وأبي لئلا ينزعج الوفاء ..

إلى الحزن النابض في خطى البسطاء السالكين

أوردة اليقين ..

وإلى الحق علّه إن حنّ

يحين ...

عبد الرحيم

قصيدة المصباح

هي قصيدة للوالد الأستاذ/ عبد الشكور الطويل..

كتبها في أوائل الخمسينات، وكان وقتها يذاكر دروسه على مصباح زيت حيث جعل فوق المصباح ملاءةً بيضاء لتعكس ضوء الذبالة علي الكراس..

وبمرور الوقت أخذت الملاءةُ بالاصفرار والتآكل، إلى أن جاءت اللحظة التي أضرمت فيها النيران.. فأطفأ الحريق وقد شب منه في قلبه حريق.. إذ تذكر كيف دخل اليهود علينا بوداعة هذه الذبالة حتى أضرموا فينا نيران حقدهم الدفينة..

فربط بين الحادثتين وأنشد مخاطبا المصباح قائلاً له...

رَفَّتْ ذُبَالتُكَ الوَديعَةُ ما حَسِبْتُك أَنتَ نَارْ
ما جَالَ قَطُّ بخَاطِري ما سِرّ هذا الإصفرارْ
أنا ما عَرفتُكَ جَمرةً أنا ما حَسِبتُكَ من شَرَارْ
سِرُّ الحَرائقِ واللَظَى نَبعُ التُّألُمِ والدَمارْ

• • •

لَكِن لَمَستُ اللَّولَبَ البَرَّاقَ فاحتَرَقتْ يَدَايْ
وتَقَرّحَتْ فِيَّ الحُرُوقُ وما شَكَا أَحَدٌ سِوَايْ
ولَكَمْ تَمَنيْتُ الشِفَاءَ..وأَيْنَ من قَلبي مُنَايْ
ما كُلّ من نَشدَ الهَوى غَنَّاهُ قِيثَارًا ونَايْ

• • •

أَنا قَدْ نَظَرتُ فَرَاعَني هذا اليهوديُّ الدَخِيلْ
قد ذَابَ قلبي رحمةً لّما سَمِعتُ لَهُ عَويلْ
فَمَنَحتهُ بيتًا لَهُ وسَقَيتُهُ الشَهْدَ العَليلْ
أَوَ لَيسَ من حَقِّ الفَتَي أَنْ يُكرِمَ البَاكِي النَزِيلْ؟

• • •

لَكنَّهُ الغَدّارَ جَارَ فَصارَ يَسلبُني الوَطَنْ
ويَدُوسُ رَوْحَانيتي ويُقيمُ في أَرضِي وَثَنْ
ويُحيلُ إنسَانيَّتي طَيرًا تَأسَّى بِالشَّجَنْ
أَترَعتُهُ كَأسَ الحَياةِ فَبَاتَ يَنسُجُ لي كَفَنْ

• • •

ما قد ظَننتُ بِأَنَّني قد كنتُ حينًا كالفَرَاشَةْ
في النَّارِ تَحرِقُ نَفسَهَا وتَعوفُ في الزهرِ البَشَاشَةْ
وتَجوبُ كَلَّ دُروبِهَا عَفْوًا على وَهَجِ الغَشَاشَةْ
يا حسرةً لِحَياتِهَا مسكينةٌ تِلكَ الفَرَاشَةْ

• • •

غزة

1953/8/23

ولما رأيت الحزن والأسف والحسرة..

وعلي سبيل طمأنته وطمأنة آبائنا أجمعين..

أنشدته بأن..

لا تَندُب الأَحداثَ فَالحُرّاسُ نَامُوا في الحِرَاسَةْ

لا حَسرَةً يا أَبَتِ تُبقِي على تَصوّرِهَا الحَمَاسَةْ

فَلَقَدْ تَقوَّمَ عُودُ ابنك.. وسَذَاجَتُهْ أَضحَتْ فَرَاسَةْ

وأَقمتُ عَزَمَاتِي على صَدرِ المَصَاحِفِ في كَيَاسَةْ

هَا إِنّي أَحمِلُ جُثَتِي وأَمجُّ في وَجْهِ السِياسَةْ

عريتَ نسائي؟..

أحسنتَ إليَّ إذ قمت بذلك

قد جَاءَ قضاؤكْ

قرّبتَ يديَّ إلَّ دَمِكَ يا تافه..

قد جاءَ

قضاؤكْ.

امسحْ أهدابي بِجدارٍ من عبثِ حَديدِكَ

وحصَارِكْ.

أَتريدُ إذلالَ عُيونِي؟

ما كانَ محمدُ في شريانِي

إنْ جازَ لتَفكيركَ

ذلكْ.

عرَّيتَ نَسائِي؟

مبروكُ النصرُ لِعورَاتِهنَّ

ما دُمنّ سَيلدنَ

بَنادقْ.

عرَّيتَ نسائي؟

من أينَ أتيتَ

بكلِّ العُهرِ السَافرِ..

والوَاضحِ والفَاضحِ

في جَنَباتكْ؟

عرَّيتَ نسائي؟

هل كنتَ تفتِّشُ

عن كيفيةِ جَدْلِ الحبلِ السُرِّيّ

لليلِ تمَاديكَ

مشَانقْ ؟؟

أَعرفُ عن جُبنكَ أكثرَ من ذلكْ..

لكن أن يبلغَ أَمرُكَ

أنْ تَرقُبَ أحشَاءَ الثورةِ

كيف تُشَكِّلُ فيهنّ فِدائيًا

هذا مبلغُ

عَارِكْ.

• • •

من أنتَ؟!!

من أنت

وكيفَ أتيتَ بهذا العَارِ

السَّاكنِ في

أنحَائكْ؟!!

من أنتَ؟!!

بحقِّ اللهِ من أنتَ..

يا ابنَ التِّيهِ الأَزَلِيِّ

المُنغمسِ في الفَائضِ من زمنِ الفَوضَى

والبَائدِ من زَمنٍ

هَالكْ؟!!

وَصَلتْ نيراني لِذروَتِهَا..

باللهِ تَمَادَى وتَمادى

أرجوكَ تَمادى..

يا هذا الوغد المجبول من العَدَمِ المَحضِ..

اشحَذْ دَمِّي بَمزيدٍ من لَيلٍ

حَالِكْ.

دَعني أكرَهُكَ تمامًا...

كالأرضِ حينَ تَدُبُّ بِإصبَعها في عينِ القَحطِ

المُتهالِكْ..

كالنِّسمةِ حينَ تُكسِّرُ أسنَانَ الصَيفِ

رُغمًا عن أَنفِ أَبيهِ

لِيَرتدَّ على عَقبيْهِ

مُفارِقْ..

كَدمعةِ أمٍّ شَهيدٍ

حينَ تَراكَ تَنكشُ في جُثَّةِ فِلذَتِهَا

كيْ تبحثَ فيهَا

عن ذَاتِكْ.

يا لا شيئَ في دربِ التَبَّانَة

تَمادَى..

باللهِ تَمادى

يا لاشيء في أيّ شيءٍ عادِيٍّ

في هذي الأرضِ الوَاضِحةِ

إلا من نُقطَةْ سَودَاءْ..

حطَّتْهَا خطواتٌ هَوجَاءْ..

لتُكوِّنَ بِالغَصْبِ

كَيانَكْ.

باللهِ تَمَادى يا ابنَ نِطَافِ المَجهُولِ

المُتَرَعرِعَة في رَحمِ اللامعقُولِ

لِتنجِبَ للزمَنِ القَوَّادِ

زَمانَكْ.

تمادَى..

يا ابنَ حُثَالاتِ الجُوييم..

المُنشقَة عن عَارٍ في الإرثِ قدِيم

لِتُشَكِّلَ منهَا

أحزَابَكْ.

وتمادَى أكثرَ وتَمَادَى..

نُريدُ النَّجمَة سُدَاسِيَّة جِدًا..

بِاللهِ سُداسيَّة جدًا..

بَينَ النَّهرَينِ تمامًا..

كي نُعلِنَ في الغَرَقِ

مَكانَكْ

• • •

اقتربَ الدمُّ...

فاستنفِرْ كلَّ سِلاحِكْ..

هيَّا استنفر كل

سلاحكْ.

عرِّي ما شئتَ يا عَورَة..

هذي الأَفخَاذُ لأُمِّي...

أَتَراهَا كيفَ تُعلّمُني

أنْ أمشِيَ قُرءانًا حَيًا

فيهِ الإيمَانُ

زَوَالُكْ.

هذي الدَمَعَاتُ لأُختِي

تحفرُ في الخَدَّينِ طَريقًا مُنحدِرًا..

سَندحرِجُ من أَعلاه

دمائَكْ.

انظرْ...

لِيجُودَ الحِقدُ عليَّ وِصالا..

فأُفصِّلُ من نعلي

مَآلَكْ.

انظرْ...

ليجوزَ لعينِي أنْ تَدمَعَ سِكِّينًا..

فُصِّلَ خِصِّيصًا لِيكونَ فيهِ

استعمالكْ.

أَتَودُّ إهانَةَ خَاصِرتِي

لِتُفاوِضَ خُطوتِيَ

وِصَالَكْ؟

ملعونَة السُنَنُ الوَضعيَّة..

أضحَكتْ الأَشجَارَ علينا

لَّما رَأتنَا نَتفَاوَضُ مع نُطَفِ القِرَدَة..

مَسمُوعَة جِدًا قَهقَهَةُ الأَشجَارِ ومَفهُومَة..

فقد عَاثُوا فيها قَديمًا

قفزًا

ومَعَارِكْ.

• • •

إيييه

عَرَّيتَ نِسَائِي؟

أحسَنتَ إليَّ إذ قُمتَ

بِذَلكْ.

عرَّيتَ نِسَائِي؟

مبروك على دَمِّي إصرَارُه

في البَذْلِ لإعلانِ

قِتَالِكْ.

عرَّيتَ نسَائِي؟

تَاللهِ مَا عرَّيتَ إذْ عَرَّيتَ

إلا عن وَجْهِ المَوتِ حَيَالكْ..

وعن وَجْهِ

زَوَالِكْ.

ومن اليَهُوديِّ مَا يُضحكُ

يا ابنَ صابرٍ المَقدسي

قال يهودي مرة لابن صابر العربي المقدسي :

أنتم العرب شعبٌ متسخ..

ورأيته يزفر زفرات محمومة.. فاستنشقت ما قدر الله لي من نيرانه، وكانت هذه القصيدة..

انظُرْ !!!

هذا اليهوديُّ من فَمِه

يَغوطْ !!

يَقولُ يَقتُلُني ليَحيَى!!

قُلْ تَموتْ.

هل تَعتقدْ أنَّ الحياةَ مسدسٌ ؟

هذا سُفورٌ واضحٌ..

ولديَّ من بَرهانِ دمِّي..

هذا التُراثُ

والخَجلْ..

ولَديكَ من سُلطانِ جُبنِكَ

هذا التَمادي في

الوَجَلْ..

ولِذا أَرى كُلَّ اعتلائِكَ في حَقيقتِه

سُقُوطْ.

وأُلاقي وجهَكَ كلَّ فَجرٍ حالكا

في تَراتيلِ اليقين..

وأقرَأُ الأخضرْ وأضحَكْ

فيزيدُ في ثِقَتي

الثُبوتْ.

وأَحُطُّ شَفَتي في فَرَاشَة..

قربَ اندهاشةِ زهرةٍ في سورةِ الإسراء..

فتسيلُ من عيني الزَنابقُ.. والحَقائقُ..والدَقائقُ..

والعُلوُّ..

والهُبوطْ.

وأَظلُّ أحرسُني بِمفعمٍ من صَهيلِ الفَجرِ

أينَ تَرتاحُ الحَضارةُ فَوقَ يَدَيّ وَلدي الصغير..

لأرسِلهُ نحوَ الدراسة إلى الضمير..

فيعودُ عُكَّازي

يُشَذِّبُ خطوتِي

نحو التِلالِ. والأَهِلَة

والبِيوتْ.

أفَلا تَمَلُّ من اندهاشِ الحقلِ منكَ؟!!!

جَاءتْ بيادِرُهُ وزَرعتْ فوقَ يأسِكَ انكسارَكْ..

بصقَ الكيانُ المُستتر فينا عَلانيةً حِصارَكْ..

أغلَقَ الوَحْيُّ الطَريقَ أمامَ أوجهِ انتشارِكْ..

نَسجَ الفَنَاءُ خُيوطَهُ طوعًا على أغوارِ عارِك

بعدَ إذن

العَنكَبوتْ.

• • •

هي في الحقيقة تَرَّهُلاتْ..

لا تكتئب أبدًا

وكُفَّ عنِ الممات

لتَموتَ جِدًا لّما المَوتُ يعلنُ ..

عَنْ حَفيظتِهِ الأَخيرةِ في

السُكُوتْ.

انْشَطْ...

وأَرجُوكَ في دُبُرِ السياسَةِ..

لتُوَجِه الأنظارَ نحوَ مواقفٍ هَربتْ إلي حَرْثِ انتمائي..

وتعَجبتْ مْنكَ لَدَىَّ..

وقالتْ ما لَستَ تَفهمَهُ

أمامَ سُنبلةِ انتشاري في المَواسمِ.. والمَعالمِ..

والخَرائطِ..

والخُطُوطْ.

خَلِّ انشغَالَكَ في دِمَائي..

هي فرصةٌ كي اسْتَتر فَأَستَقِر

في دَمّي أكثر..

ولا بأسَ أن تَسكُنْ رِدائي..

ويَجوزُ حتى لمسعاكَ الهلامي

– إن أرادَ تَسكُعًا فوقَ اشتهائِي –

أن يَفوتْ.

هي فرصةٌ عربيةُ الكَرمِ الأخير..

ولذا سَأُقنِعُ اندهاشي

أن يَمُدَّكَ بالمزيدِ من الهَوامشِ

والمعالم..

والخُيوطْ.

• • •

انظُرْ!!!

هذا اليَهُودِيُّ المعدنيُّ الصَدِأُ الرَدئُ

يَسْتَترْ خَلفَ

الجِدارْ!!

ويَظَلُّ يَنعبُ دائمًا من خلف أسوارِ

الحِصارْ!!

ولديهِ في خُفِّ الظلامِ دماثةٌ للرؤيا لكن

من طرازِ

الانكسارْ!!

في كل يومٍ هو هَارِبٌ من كُلِّ خَيرٍ

نحو خَيري..

نحوي خَيلي..

نحوي خَجلي..

كي يُبرعِمَ في انتهَائِهِ

اضطرار.

ويَظُنُ أنَّ الطقسَ ليليًا كَظِلهْ!!

حاشى دمائي..

والوُضوحُ المُستعدُ إلى رِثَائي..

إنْ جازَ هذا أمامَ عينِكَ يا

نَهَارْ.

أَوَلا تَري شَغفِي المُطلَّ

من البراري والسَليقة..

والصَواري والحَقيقة..

والتكاثر

والبحار؟!!!

هو نطفةُ المَنطِقْ

- أيُّهَا الأبلهْ -

أُخبِّأها في رَحمِ دَمِّي ليَلدْ رغيفًا يَافِعًا

يُطعمْ صَلاتِي

من الطفولةِ إلى

الوَقَارْ.

ومُحَاصَرٌ أنتَ..

وأنا أُهَزِؤهُ الآنَ أمامَ عَينكِ يا ضَرُورَة..

وأَرميهِ إذا شِئْتِ بِسُنبُلَةٍ..

لتَرِي الذي فيهِ من تفاصيلِ

القِفَارْ.

ومسافرٌ أنتَ...

وأنا أُهَمِّشُهُ

- بعد إذنكِ يا بَنادقْ -

عند اندهَاشاتِ المَناطِقْ..

بَعدئذْ لم تَستَطِعْ أنْ تَحتَويهِ

لو حتى بزَاويةٍ لنعلٍ

أو مَراحيضٍ

لِعارْ.

ومكبلٌ أنتَ...

وأنا أُرَتِّلُني وُضوحًا سائبًا يَشهدْ علي شَوقِي..

حِينَما حَطَّ الحَنينُ تَوجُّهَاتَه كُلَّهَا فَوقِي..

وحَرَّرَ ما يَفِيضُ بالحياةِ من ثَرى مَوتِي..

وأَهداكَ لترتاحَ الخَليقةُ..

- كُلّ الخَليقةِ -

انْدثَارْ.

وحَرامُ هذا الليلِ معروفُ الحرامِ يا ابْنَهُ...

فاستنكرْ الذَاتَ الملفقةَ عليكْ..

سَرِّبْ جَواسِيسَكَ منكَ إليكْ..

وأعلِنْ بَذاءَتَكَ المثابرة

في هويتِكَ المسافرة

انتصارْ!!

وخُذِ المزيدَ من الهَوامشِ

واصعدْ إلي أعلَى السَماءِ بطَائِرة

لتُلونَّ النسماتِ إرهاقًا..

فتضحك عصافيرٌ عليكَ

إذ رَأتْكَ مُقَلدًا فَمُلوثًا

لِنَقاهةِ الأفياءِ والأشياءِ والأحلامِ..

والأفكارْ.

• • •

انظر!!!

هذا اليَهودِيُّ العَفِنُ القميئُ...

يقولُ لابنِ صابرٍ يا متسخْ!!

هه!

ويَمُطُّ رائِحتَهْ بِلا خَجَلٍ

أمَامَهْ !!

انظر !!

سَالَ التَشَدُّقُ من عُيونِ قُمامَةٍ

فانْتَقدتِ الأشجارَ في عَيْنَيّ حَمَامَة..

وأيّ حَمَامَة؟!!

هي من حَمامِ القدسِ..

بيضاءُ..

تطيرُ في وَهَجِ الأذانِ لتستقرَّ علي براعمِ فطنةٍ

تَنظرْ لِلَذَّتِها إلى يومِ

القِيامَة !!

ومُحَمَّدِيّةٌ جدًا..

حتى رأيتُ فِكرتَهَا - لتَحُطَّ فُرصتَهَا -
تَدقُ على حِرَاءٍ.. تستأذنْ جوارًا من تِلكَ
الحَمَامَة.
هي من عُيونِ الصبرِ..
أنبتَهَا المزيدُ من ارتياحِ البَدرِ..
أودَعَهَا على هَامِ السَماءِ
لتُظَلِّلَ الشَمسَ ليلا
في مهَمَّاتِ
السَلامَة.
هي أقحوانه..
شَرِبَتْ نَشيدًا..
ولِذا تَعجبتْ ظَمأَ النشازِ فَأُثْقِلَتْ مَعنَي
بماذا؟!!
صَرخت بِأكره ما يكون.. وعلى لِسَانِي..
هل كانَ فيكَ من الرَحيلِ كلَّ
هذا ؟!!
كأنّا لم نعرفك من قبلْ!!!

آآأنت أنت ؟!!

تلك الجنابة المستعدةُ دائما لتُثيرَ

في هدأَة طهارَتنَا

احتلاما ؟؟!!

وأنت أنتَ !!

ذَاكَ الخُرَافِيُّ

المرائي لانكماشٍ في دياجيرِ الأساطيرِ

ليقودَ خيطَ حُلُمٍ عابثٍ يومًا

زِمَامَا ؟!!

وأنتَ أنتَ ؟!!

ذَاكَ الخَرَائِيُّ الذي

أكلَ الفضولَ المُخمَليّ من فَضَلاتِ رَاحَتِنَا

ليَصيرَ - حَيْثُ يَسير في مَنأى عن عينِ اكتِرَاثِي-

اقتِحَامَا ؟؟!!

وأنت أنت ؟؟!!

ذَاكَ اليَهُوديُّ اليهوديُّ اليهوديُّ ؟!!

أَوَلَمْ نُصَنِّفْكَ في تعاليمِ الطَريقِ غِيابًا ؟!

فَكيفَ جِئْتَ ؟!

من ذَا الذي أعطى لنَزعتِكَ الحقيرة مَلامحًا فوقَ المعالمِ

لنَرَاكَ في صورةِ البشرِ

بَعدَما كُنتَ خَرابَا ؟!

هَلْ طَوَّرَتْكَ تَجَارِبٌ قَذِرَة

أجْرَهَا فَوقَ سِحنَتِكَ

القمَامَة ؟!!

أم هل تُراك تَمَخُّضا نَشَزَ عن طاعاتِ سَيدِهِ الفَرَاغ..

فاضْطَّرهُ الهَوَسُ اقتِحَامَ

الاستِقامَة ؟!!

يَبدُو بأنَ الاندهاشَ فَاترٌ..

والدَمّ فَائرٌ..

وهذا الفَجرُ أذَّنَ..

لي في صَلاتِي فُرصَتي

سأطيرُ يومًا في مَمَاتِي وفَرحَتي

وأُرْهِقُكَ صَعُودًا

وانتِقَامَا.

أَرأيتَ كوابيسَ دِمانَا ؟؟

إلى ذاك اليهودي الذي قتل فدائيًا ثم قطع أذنه محتفظًا بها فحاصرته الكوابيس لمدة ٣٨ سنة

كان لا بدَّ سيأتي هذا الكَابوسُ الطَازَجُ

من فرنِ

دِماهْ..

أَوَ كنتَ تَحسبُ حين تدقُّ حسامَكَ فيهِ

تُشَرِّعُ للموتِ

مَداهْ؟!!!

ملعونةٌ النِسبةُ والحِسبةُ

إن كان

كذلِكْ.

• • •

أَنصِتْ لضميرِالأُذنِ النَابضِ

في فوضى

خَيَالِكْ..

هَبْهَا سَتمارِسُ إصغَاءَ المَوتِ على سكِّينِكَ

كي تَبصقَ في وجهِ

سلاحِكْ.

أتَظنّ يَخافُ القَلبُ إذا أسلمَ للهِ

هَواهْ؟!!

ملعونةْ الفِكرَةُ والذِكرَى

إن كانَ

كَذَلِكْ.

• • •

من أينَ قَدَدْتَ خطوَتَكَ لتقولَ لهُ

سَلِّمْ تَسْلَمْ؟!!

مَعذورٌ أنتَ فلا تَعلَمْ..

لا تفهم شيئًا عن جَذْرِ الشَجَرِ

إذا مَا خَبَّأَ في الأَرضِ

سَمَاهْ.

لا تَصرَخ فيهِ

كي يقفَ أمامَ سِلاحِكَ يَا تافِهْ..

ما جاءَ إليكَ إلا لِيَعُدَّ العُدَّةَ

من بَسمتِهِ الحُلوَةِ

حين يرَى زغرودَةِ أمِّهْ

من قَبرِهْ..

تَعبرُ بِالصَّمتِ إلى

فَحوَاهْ.

اخرَسْ.. لا تَتكَلَمْ أبدًا..

أُقتُلْهُ وغادِرْ فورًا

لِيعيشَ فيقتُلَكَ كثيرا

ويُحيكَ على رَأسِكَ

مَمْشَاهْ.

أتَظنّ الشَّجرَ يَموتُ ؟!!

مَلعونَة النِّسمَةُ والبِذرَةُ

إن كَانَ

كَذَلِكْ.

• • •

حَدِّقْ في الزَّغَبِ النَامي

في دَهشةِ هذا الدَّمِ الطَازَجِ

لِتَراهُ يُرَاقِبُ

أبنَائَكْ..

جِسّ النَّبضَاتِ بِقلبِ العَينِ يا أعمى..

لِتَراهَا تُحاصِرُ

خَلجَاتَكْ..

أكنتَ تنتَظرُ النَظريَّةَ كي تفقَهَ

ذَاتَكْ ؟!!

أتَاكَ الكَابوسُ الآنَ..

فَصَّدِقْ ما آلَ إليهِ مَآلُكْ..

حُطّ البُرهَانَ بِأرضِهْ وانصرِف

إلى صَحرَا

أَحلامِكْ...

لِتُرَبِّي في العَدمِ

جِبَاهْ.

أتَظنّ الأَرضَ تموتُ؟!!

ملعُونٌ دَمِّي الشَعبيُّ

إن كَانَ

كَذَلكْ.

• • •

هل شَاوَرتَ السكّينَ قليلا

قبلَ القَطعِ؟

لَكُنتَ ذَبَحْتَ بِهِ

حَالَكْ..

لَكنَّكَ مَارسْتَ الفَوضَى
من أَصلِ فَراغٍ يسكنُكَ يا ذاكَ
الهَالكْ..
أَذَبحْتَ يَدَاهْ ؟!!
ما كنتَ لتذبَحَهُ يا تَافهْ..
قد عَادَ الآنَ ليقتُلَكَ
بِثَمَانيةٍ وثَلاثِينَ
حَيَاة.
سُبحَانَ اللهْ...
مَا أجملَ دمِّي حينَ يُحاصِرُ
أحلامَكْ..
سُبحَانَ اللهْ...
اجعَلْ من دَمنَا سَكاكينًا
لِنَكونَ أحلامًا خَشِنَة
فِي وَجْهِ المَوتِ
يا اللهْ...
ونكون
كذلك.

قُمْ يَا دَمِي

قَبيحٌ هذا الدَأبُ مِنكَ..

يُشبِهُكْ.

لا سيَّما حِين تَقتَاتُ على اشتِهائي لِمَقتلي..

ما أسخفَكْ.

جَابَ البلادَ يُفكرُ في كيفَ انحنَائي ؟!

حَفرَ الخُطوطَ بِكفِ جَدِّي

فإذا دِمائي تَحتَمِلْ مِفتاحَ بَيتي

وغُيومَ مَدِّي..

فتَسيلُ في أرضِي سَمائِي

وتُغرقُكْ.

هَوَ يَبني من جِراحي كُلَّ يومٍ ألفَ حِقدٍ من تَكسُّرِهِ

المُحَتَّمْ..

هُوَ يَرتعِدْ عِندما تَنبتْ على خِدْرِ الخِيامِ غَزالةٌ أُخرَى

تَتَهجَى فَاتِحةَ الكِتابِ

وتَحلمْ..

هو يَعلمْ..

أَنَّهَا تَلدُ انتِهائَهُ من رَشَاقَتِهَا البِداية..

نَبتهلْ إنْ شِئْتَ قُدَّامَ الوَصايَا..

تَعَالْ..

هَاتِ السلاحَ كُلَّهُ مَعَكَ..

وأنا سَأنتظرُ بِدَّمِي كَامِلا فَوقَ الهِلالْ..

تَعَالْ..

هَيَّا تَعَالْ..

ما أَيْأسَكْ.

• • •

رَاحَ يَنشدُ غِيَّهُ عِندَ الظِلالْ..

أكلَ الغِلالَ فَانْتَشَي..

ظَنَّ أَنهُ غَيْرَهْ !!

فَأَتَى وقَالْ..

أحسَبُنِي بَشَرًا!!

ولَسَوفَ استَفتِي الخُطَى فوقَ الرِمالْ..

خَرجَ ومِن كُلِّ دَربٍ في الحياةِ مُحَالْ..

صَرَخَ بِأكرَهِ ما يكُونَ أمامَ عينِ البُرتُقَالْ..

مَا أتفَهَكْ..

ما أتفَهك..

ما اتفهك.

يا ابْنَ التَهدُمِ والتَلعثُمِ والتَذَمُرِ والوَصَايَا

المُتعَبَة..

يا غَليظَ الرَقبَة..

يا شَقيَّ العَقَبَة..

دَيْنُونَتكْ للمَسْغَبَة..

لاهُوتُ قَلبكَ مَا تَحَضَّرَ بالسَماءْ..

فَاقعِي عَلى شَظَفِ التُرابِ

بِمَتربَة..

حَاشَا اعْتَلائي أنْ يُسَاوِرَهُ للحْظَة مَوضِعَكْ..

ما أَوْضَعَكْ.

يَحسَبُني عَبَثًا هَاهُنَا أروي ثُرابِي بِالدِماءْ..

أَوَلا تَري سَبَّابَتِي نَحوَ السَماءْ ؟!

يا أيُّهَا المَوْبُوءُ بالعفنِ المُكَدَّسِ من بَرَاءاتِ الأنبياءْ..

والمُقيمُ على أسَافِلِ انحطَاطِكَ أسفلَكْ..

ما أسْفَلَكْ.

هَذا المُرُوقُ يَحسَبُني تَقاعَسْتُ عن لِحَاقِهْ !!

انظرْ لِتَعرِفَ الفَجرَ المُحافِظَ

كيفَ يَنبتُ في الحُقولْ..

ويُدَثّرُ الشمسَ المُخَبأة

في دهاليزِ الوصولْ..

ويَجِيشُ في قَلبي الفُرَاتْ..

وتَصُبُ في دَمِّي الصَلاة..

فَتَهيجُ في جَذرِي الأصولُ

وتَقتُلكْ.

إيَّاكَ أنْ تَحْسَبْ صَهِيلي بِمُوْجَبي

تُزعِجْ دمي إن جَالَ هذا

بِخاطِرِكْ.

أو تَحْسَبَنِّي قَضمْتُ شَفَتي ومِخْلَبي

هَذي تَراتِيلِي عليها

تُكذِّبُكْ.

أو تَعتَقِدني في دُخُولِي أجنَبي

أتي ليقتاتَ السلامْ !!

حَاشَى خُروجِي إلى الخِيامْ..

لأُقيمَ في ذَاتِي الحُسَامْ..

وأجُوسَ فيما بعدَ مَوتِكَ

كي أُعرِّيكَ أمامَ الأرضِ..

فَيَأنفَ النَملُ الصَدِيقُ

ويَبصُقكْ.

• • •

كانَ يَعُدُ للمَدَى المُطلَقْ حِصَارْ

وهوَ المُحَدَدُ من كلِّ الزَوَايا بالاختصار ْ!!

عَاثَ في هَدأَة لَيَالينَا دَوِيَّه..

خَالسَ الشمسَ القديمة

بِطُقوسِ حَبْرٍ تَافِهٍ

وأتَي لِيُشبِهني أمامَ الانتظارْ !!

لَكنَنِّي هَدفِي وشَغفِي..

وأَصْلِي وفَصْلِي..

وأرضِي وعِرضِي

وإنساني..

وأعْرِفُنْي..

ولَسْتَ أنتَ تَعرِفك !!

وأنا الدُروبُ الفَارِعَة..

وأنا الصَّلاةُ الوَارِعَة..

وأنا الحُقولُ اليانِعَة..

وأنا الكِنايةُ في تَوراةِ يأسكِ

حتى بَعدمَا أُكِلَتْ حُروفِي منَ الرِقَابة الجَائِعَة..

وأنا تَنَفُسُ أحمدٍ..

أينَمَا حَلَّ النسيمُ في انتمَاءاتِي الجَامِعَة..

وإنَّني لا

أُشبِهكْ !!!

لِمَ كُلَّ هذا الانتظَارْ ؟!!

هَيَّا انطلقْ لتَرُمَّ في قَتلِي حَياتِي..

فَأقُومَ أحلَى من مَمَاتِي..

وأُدهِشكْ.

هَيَّا اكتئبْ..

من خَيرِ مَوتِي..

هذا دَمِي يَبتَسم وبِأعلَى صَوتِي..

لا تَندَهِشْ أبدًا..

خُذْ مَا أرَدتَ من دمائي تَحَفُظَاتْ..

وقُلْ كانَ تَجْدِيفًا..

وسَجِّلْ تاريخَ دَفْنِي في انتهائِكَ إرهَاصَاتِ..

وحَلِّقْ بِالزَهوِ المُعَمّمِ من تَحْرِيفِ تَورَاتِكَ على أَمَلِي

وقُلْ..

قَتَلتُ يَأسِي بِمَقتَلِكْ..

ما أَلأمَكْ !!

ايْئَسْ كثيرًا جدًا أيُّهَا التَافِهْ..

ما زَالَ للدَمِ سِيادةٌ تَمتحِنْ هَذِي الحَيَاة..

لتَمتَهِن سَيفِي المزركشِ بِالصَّلاة..

إن لَم تُصدقْني

خُذْ مَفاهِيمي من القُضَاة..

لتَرَي الشَريعَة طَلَّقَتْكَ منَ الحَياة مُذْ مَوْلِدكْ..

ملعونُ شَرَفِهْ

مَولِدُكْ.

• • •

قُمْ يا دَمِي..

قم يا دَمِي..

لتُرِيَهُ من فَيضِ الصَوابِ

سُلالَةَ المُعروفِ فيك لَدى السَحابِ..

فَتنكَمِشْ فَوضَي الرصاصِ في يَدِ المُنكر..

وتَطيرُ من زَغَبِك فِراخُ

حَمَائِمي..

قم يا دمي.

هذا التلعثمُ جَمَعَ من لُغَتك شَوارِدَهَا

وأَلقَى أَمامَ فَصاحَتكَ الوَقُورة شُرُودَهُ

لِيُعِيثَ فيكَ تَرحُّمي..

قم يا دمي.

مذ كانَ يعقوبٌ يُبَشِرُ عن ظِلالِكْ

كان يَبحَثُ عن هِلالِكْ

لِيحَرِّمَ النَبضَ الحَلالَ بِكُلِّ مُفرَدَةٍ تَدلُّ على انسيابِكَ في عُروقي

وتَنْتَمي..

قم يا دَمِي.

والأرضُ فيكَ مثلمَا دوما تكون..

بدونِ اضطراراتٍ لوَازِعْ..

أوِ احتياجاتٍ لزَارِعْ..

أو استشاراتٍ لبَارِعْ..

سُكِبَتْ مُباشرةً سَمَاوِية عليكَ فِيكَ أنتَ أنت

لتَحتَمِي..

قم يا دمي.

هيَّا اجتَمِعْ

هيا استعد لتَمتَنِعْ

أن يستثيرَكَ إلاهُ..

مُتذَكِرا تحريمَ دَمِّي على دمائِكَ يا دَمِي..

قم يا دمي.

هاتِ اللحَاظَ كُلَّهُ..

لا تُبقِي في شَفةِ العيونِ نداءْ..

حُطّ القَوامَ جَميعَهَا فوقَ السماءْ..

لتُدهِشَ الأرضَ المُضيئة بِمَقدَمِي..

قم يا دمي.

خُذ من حِجازِك..

بواكيرَ النبُوءَةِ والدُعاءْ..

خُذ من فُراتِكَ اخضرَارِكَ والشَتاءْ..

خُذ من شَآمِكَ كلَّ إرثٍ قد تَبختَرَ في البَراعِمِ

وأتاكَ يَحبُو إلى زهورِكَ انتَماءْ..

خُذ أطلسًا كُلَّهْ إليكَ

وتنفسَّ الشهداءْ..

لتَفيضَ رئَتُكَ بانتصارٍ

قَادِمِ..

قم يا دمي.

والقدسُ حَضَّرت الآذانَ على طريقتِهَا القديمة..

لتجتمعْ سُبُلك بِقِبلَتِهَا..

فتُقرّ في خَدِّ التَشَهُّدِ قُبلَتَهَا..

وفِي حُضنِ فَجرِكَ تَرتَمِي..

قم يا دمي.

امْتطِي خيلَ الجهادْ..

خُذ الوضوءَ من نِيلي

ودَثرِني بِشغفٍ من شِمالِ تِشَادْ..

جادَ عليكَ بالدعاءِ وبِالدليلِ

وبِالرثاءِ وبالنبيلِ

وجَادْ..

وأتاكَ يَهبِطُ في رصيفِ هَوِيَتِكْ..
خُذْهُ إليكَ واتخذْني سُلَّمِي..
قم يا دمي.
والأرضُ فيكَ تستقيلُ من هواجسِ القحطِ المُلَفَقِ كُلِّه..
فَابْذُرْكَ أجْوَدَ فوقَ إشراقِ الفصولْ..
لتَغرِبَ النفسُ إليكَ بالأصُولِ
الأقدَمِ..
قم يا دمي.
واليأسُ مشهودُ الحصارْ..
فاجمع مسارَكَ كُلَّهُ أمام عينِ الانكسارْ..
لتَفيضَ بالفَجرِ المُضرَّجِ بالنهارِ
وبالوسائلِ والسنابلِ والرسائلِ
والحقيقة..
وسيفِ جَدٍ
مُضْرَمِ..
قم يا دمي.
أنتَ المخولُّ بالضياءِ وبالنماءِ

وبِالنَبات وبالثَبات

وبِالكَواكِبِ واندهاشِ

الأنجُمِ..

قم يا دمي.

ولقدْ تَضَوَّعتَ نَشيدا بأمرِ شَمسِ اللهِ

رُغمَ عن أنفِ المُلُوكْ..

انظرْ إليكَ لتَفهمَ الليلَ الذليلَ

كيف يرصدُ فوق خطوتِكَ السلامةَ والدليلَ على المسالكِ

والسُلوكْ..

وفيكَ أنزيماتُ بدرٍ..

وصَبرُ أُحُدٍ..

واجتهاداتِ تَبوكْ..

حتّى غَرسَاتُ جَدّكَ

قطَّرتْ طعمَ البلادِ النَاضجَة من حُلوِ مَدِّكَ في فَمِي..

قم يا دمي.

هذي اللزُوجةُ في ثَناياكَ

تُنيطُ روحَكَ بالسهولةِ

- حينَ الإراقةِ -

لبسمةٍ من

مِبسَمي..

قم يا دَمي.

أتلُو آياتِ الخلاصِ كُلّهَا..

واكفهر في الوَسائلِ..

والغيومِ على الجدائلِ..

والحقائقِ والدلائلِ..

لتمطرَ النصرَ المُؤزَّرَ..

من قَاعِ قَلبي لِمعصَمِي..

قم يا دمي..

قم يا دمي..

قم يا دمي.

تنهيدات في السنة الجديدة

(إلى الشاعر خليل سكاوي)

أَخِي..

أَيُّها السَارِحُ في شرودِ

السَوْسَنة..

حَطَّ فجري في وَقارِكَ

فانصرفتُ إلى عُيونكَ

أغسلُ الأحزانَ فيها بالمجازات الكئيبةِ..

والعيونِ

المُتعَبَة..

لا تَلُمْ دَمَعَاتِي إن أَرهقتُهَا

فوق التراتيلِ العجيبة..

حرَّضَ الوجعُ غيابي

في انكمَاشِ

الأزمِنَة.

• • •

حَطَّ في قلبي الضَبَابْ..

صِرتُ أُشبُهُ أيَّ شيءٍ دبَّ فيه الاغتِرابْ..

حتَّى صوتي

قد نَسيتُه فوق أوحالِ المكان..

عاثَ في قلبي اجتمَاعات الثَكالَى

المُحزِنَة.

• • •

أخي...

أيَّها الصُبحُ المُراقبُ

- عن كثب -

انحرافاتِ اللّيالي

المُبهَمَة..

كيفَ في غزّة دِمَائي ؟

قد تركتُ فيها شَفَتي

هل تمادَتْ فوق زِندكْ ؟

هل تَحَدَّثَتِ اللُّغاتِ وِفْقَ لغتِك ؟

هل رأيتَ عينَ شعبي في الأخاديدِ هُنَاكَ..

مُخبَّأةً في صَهيلِ

الأَحصِنَة؟

• • •

أخي...

أيُّها العَابرُ في غِيَابِي

كي يُقرِّبَ لي خُطايَّ

من ضَميرِ

المَلحَمَة..

هل رَأَتْ يَافا مُنايْ؟

هل شَربتَ الفَجرَ معها كُوبَ

شايْ؟

هل تَطَّرقتمْ في الحديث عن هَوايْ ؟

هل تَطاوَلَ شَعرُهَا الكنعانيُّ

وصَار يجتَلبُ الغَزَلْ..

كي ينَامَ في

دِمَايْ؟

هل تَمَادَتْ في الدُمُوعِ

وَقتَئذْ أَشعَلتُ

نَايْ ؟

هل قَضَى الليلُ وَطرَهْ

كي تسيلَ من الطَّلاقِ

فتندَمِلْ ذكرى الجُروحِ

المُؤْمنة ؟

• • •

أخي...

أيُّها البِكرُ لاجتهَادَاتِ الوُصولِ

المُمكِنَة..

هل سَرَى زَهرِي إليكَ

ذاتَ يومٍ من حُقُولِي ؟

هل مَضَى يَعبرُ قُدسًا

بعدما نَفَذَ اندهاشي ولم ينفذْ وُصولِي ؟

هل سَتُوصلُ دمعَ عينِي

في سَلامٍ مع حَمَامٍ

عَاشَ في قَلبِي وطَارَ

في فَضَاءِ

المِئْذَنَة ؟

• • •

أخي...

أيُّها المَصلوبُ شَغفًا بِالهلالِ لا اضراراتٍ مُحكَمَة..

قد رأيتُكَ في ضميري

ذكرياتٍ عن حَصارْ..

خَنقوهُ بالحدودِ ليعصروا منه الفِرارْ..

فاستحالَ حين أَشعلَ غَيمتَهْ
مطراً تخصَّصَ في عُمومِ
الأَمكِنَة.

• • •

أخي...
يا ابنَ جُرحٍ لم يُجاملْني قليلاً
لو بِبَسمَة مُعلَنة..
أَمشِي في ليلي وحيدًا في الرَحيلْ..
حتى هِرٌ يَرقُبُ الخطواتِ دومًا
ويكترثْ بيَّ مرورًا ثم يَبكيني قَليلْ..
بعدها يذهب لِوطنِه
دونَ إدراكٍ لديهِ
أنهُ يَزرعُ قَدمِي
في الدُموعِ
المُزمِنة.

• • •

أخي...

أيُّها الوَاسعُ في اطِّلاعاتِ الجروحِ المُلْهِمَة..

قل لأُمي ما بِذَنبِي

أَنَّني عنها بَعيدْ..

ما بِذَنبِي إنْ نَزَفتُ من هَواهَا غُربةً

في العَامِ الجَديدْ..

قَبِّلْ القَلبَ نَيابة عن شراييني

ثم صَلِّ الفَجرَ

لأعبرَ بِالدُعاءِ إلى الدِّمَاءِ

المُثْخَنَة.

لن أَرُشَّ التَهنِئاتِ على عُيُونكْ

(إلى الشاعر سليمان نزال)

أَزهَرَتْ فيكَ

الحُروفْ..

قد شَمَمْتُ الأرضَ في وَجَعِك

فَهَدَّدَ الدَمعُ عيُوني

إن تَمَادَتْ في

العُزُوفْ.

أَرَّقتْني غُربتِي

فَذكَرتُ وَجَعَكْ لِلوَرِيدْ..

قَامَ يَكتبُكَ نشيدْ..

هل شَمَمْتَ رُوحَ وَجَعِي في انتَصَارَاتِ

الظُرُوفْ؟

• • •

أيُّها السَاكِنُ وَجَعَك...

كيف في جَنْبَيكَ

البِلادْ ؟

هل تَجلَّتْ فَوقَ حَرفِكْ..

واستَتَبَتْ في

الزِنَادْ ؟

هل تُبَادلُهَا الأمَانيَ

كي تقرِّبَ نحو أَمَلِكْ ابتِعَادَ

الابتِعَادْ ؟؟

طَمئِن القلبَ عليكَ أو عليَّ

كلُّنَا في الدَّمِ

وَادْ ؟؟

اسألِ العينَ الكَئيبَة

عن عُيُونِي..

سوف تَستَلهَمُ قدسًا قد تَجَلَى في كِلَيْنَا

فَاتَّضَحْنَا..

رغم عن أَنفِ

السَوَادْ.

سوف تستنهضُ عَزمِي من وَقَارِكَ

إن سَلَكْتَ سُبُلَ رُوحِي
كي تَرَانِي في
السُهَادْ.
تُشبِهُ المَعرُوفَ أيُّهَا السَيدُ
ولذا قَصفَ المُنكَرُ أظفَرَهْ
ثمَّ ضَاعَ في
العِنادْ.

• • •

نبِّأ الغُربَةَ عندكَ
في الرَّحِيلْ..
سوف لن نَحنِي جِبَاهًا
في دَيَاجِيرِ العَويلْ..
نحملُ الأرضَ ونمشِي
كيّ نُبشِّرَ بِالظِلالْ..
وأينمَا سِرنَا
نَسيلْ.

حتَّى لو قدَّرَ ربِّي
أنْ نَسيرَ إلى
البَديلْ.

• • •

لن أَرُشَ التَهنِئَاتِ على عُيُونِكْ..
لن أُجَامِلَهَا
لِسَانْ.
إن قلبي يا حبيبي
غَرَّدَ الدَّمَ
بَيَانْ.
ليس من مددٍ إلَّ
من حروف تَنهرُ اللَّيلَ قليلا
كي أُرقِّعَ ثَوبَ حُزنِي
أو أُسَرِّي
الاحتقان.

آهٍ ثم آهٍ ثم آهٍ

يا سليمان..

قد رَأَيتُ دُمُوعَ رُوحِكَ في رَحِيلِكْ..

فَأَجهَشَتْ عَينِي

المَكَانْ.

حبَّذا الأرضُ تقولْ

من سِحرِهَا العَادي تَجرُّ

الذَاكرَة.

فالأرضُ مَلئَى بارتِجَالاتِ الأصُولْ..

لها في الحُلولِ علي الحُلولِ تَوجُسَاتْ..

ولِذا ارتدَتْ شَفةَ السَماءِ وقَالتْ

سَاخرَة...

لا حَاجةً للاجتِمَاعِ والاقتراعِ والانتِفَاعِ والاختَراعِ

والعَباءَة

المَاكرَة..

لا حَاجةً للاستِماعِ لفَحيحِ وَرقِ المُؤتَمرْ..

مَا دامُوا يَختلفونَ حتى اليومَ

على شَكلِ قِمَّتِهم

وأعدادِ الكَراسي والرسائلِ والسطرْ..

أتكون مثلثةَ الرَّداءَة..

أم مربَّعةَ الدَّناءَة..

أم مخمسة البذاءَة..

أم مشلحةَ المسدس..

لِيَستعدُوا بِعريِهِم مُستدبرينَ عَدوّهم حينَ تَدورُ
الدَائرِة.

• • •

الأرضُ طقسٌ من تُراثٍ..
أَمطرْ حَضارَتَنا من حَفاوتِنَا وحَطَّ فِينا
وانتَهَى..
والأرضُ شَفةٌ مكفهرة
بالسنابلِ والبلابلِ والأيائلِ
والنُهَى..
والأرضُ تغفُو علي شَفةِ البسَاطَة العاملَة
في ثورةِ الشَعبِ المُرَابطِ
في سِدرةِ الدَمِّ الشَهيِّ
المُشتَهَى..
لتَعُدَ تَحنَانِ الوُلوجِ
حيثُ تنتظرُ السمَاءُ لتنتصرْ فوقَ الجباهِ الساجِدَة..

فيلتَئِم طُهرُ الجِراحِ الصَابرَة..

وينكسِر عُهرُ القُصُورِ

العَابِرَة.

خَلُّوا الشعُوبَ علي سَجيَّتِهَا وغُورُوا

نحوَ ما لسنَا نفهمُ.. من هَرطقاتٍ

غَابِرَة.

فَلسفتُم الثَروَة..

عَلمنتُم الثَورَة..

شَيَّعتُم العَورَة..

واستخدمَ البعضُ لِحيتَهُ

كي يقطَعَ الأمتارَ القليلَةَ..

ما بين فكرتِهِ الصغيرَة وفتنَتِهِ الكبيرَة

بِطائِرَة.

ما عُدنَا نحتَاجُ الوِصايةَ من أحدْ..

للهِ وُجهَتُنَا..

وبِهِ الرجاءُ ومنه المَدَدْ

ونحبُّ وقفتَنَا أمامَ جَلالِه

وبإذنه شُهداءَ مِلءَ

الخَاصِرَة.

ونقولُ بِعُلوِ دمائِنَا

لا ما تعَبنَا ..

فَليأتِ التَعبْ..

ونَقولُ ملءَ سَمائِنَا لا شيءَ يُثنِينَا عن معانينَا

ولا زِلنَا عَرَبْ..

نَخبزُ الصَبحَ العَفيفْ..

نشربُ التَوحيدَ طَازجَ مِلءَ زَمزَمِه الحَنيفْ..

نزرعُ الشَجرَ المُرابطَ في تراتيلِ الرَصيف..

نستَقي الأحلامَ حُبلَى من غيابات الحَفيفْ..

نعشقُ الأرضَ البسيطَة..

حينَ تَلهُو في مَراييلِ الصغارِ نرى مَا تَروْنَهُ وَسَخًا

أَناقَة

سَاحِرَة.

ونحفظُ النساءَ والإسراءَ والأعرافَ والأحقافَ

وغَافِرَ.

ونشتهي الأرضَ في خبزِ الصغارْ..

ونشتهي الأرضَ في سَمرِ الكِبارْ..

ونشتَهي الأرضَ في ألقِ الزراعةِ والبِذَارْ..

ونشتَهي الأرض في الشَايِّ الصَباحيِّ

ونشرةِ الأخبارْ..

ونشتهي الأرضَ أحلى بالدمارْ..

ما دامَ حين تسيلُ دمَانَا تَنبتُ من ثنايَاهَا الجِباهُ

الثَائِرَة.

ولِتَعلُو يا دمنَا أعلَى..

أعلُو جَيدًا جِدًا وأحلَى..

لنراكَ مكَّة..

ونَراكَ بيروتَ وعمانَ وحيفا ويافا وعكا..

ونراكَ قطرا ونراكَ يمنا ونراكَ بحرين ومسقطْ..

ونراكَ سِرتَ وصومالَ وجيبوتي وبَنْزَرتْ..

ونراكَ فاسَ وشنقيطَ وبغداد

وسودان ووهران وعجمان وحلبا..

وكَذَا نراكَ

القَاهِرَّة.

• • •

الأرضُ شعبية تمامًا

حطت على خُطَى الحُفاةِ..

وأتَتْ إليهِم تلُمُّ نزفَهُم

المُريحْ..

مَسَحتْ دُموعَ الطيبينَ لتَخفِقَ الولعَ المُخَضَّبَ

من دَمِ التَسبيحْ.

أخذتْ الفجَرَ المخبأَ في رُؤى الأطفالِ..

زركشتْ أوصالَهَا بحليبِ فطرتِهِم

وارتدتْ بسمتَهُم

ومضتْ إلى حيثِ الصحابةِ

تستريحْ..

حولَ تَحنانِ

الرَسُولْ.

والأرضُ تَبعُدُ عن قُصورِ الجالسينَ

حَولَ مأدبةِ الخِدَاعْ..

تَنفرِ إليهم ما استَطاعتْ من وَداعْ..

وتَؤوبُ نَحوَ الطيِّبينَ بِغبطةٍ مَلئى

الوُصُولْ.

والأرضُ تبكي فُرقَةً ليستْ بِها في عُمقِ جَذوَتِنا أصُولْ..

ليستْ بِها في أصلِ بِذرتِنَا بوارًا أو ذُبولْ..

ليستْ بِها في وَهجِ فكرتِنَا تَلعثُم أو ذُهُولْ.

والأرضُ من لَهَفٍ علينا أتتْ إلينَا كي

تَقُولْ...

فيمَ افترقتُم..

وأيادي إسماعيلَ زرعتْ أحمَدًا بالقسطِ في كلِّ

الحُقولْ؟ !!

فِيمَ اختلَفتُم..

والذي فيكُم جَماعتُكم

تنوءُ بالحُلمِ المدثَّرِ بالحقيقة

فوقَ انطباعاتِ الجبينْ؟ !!

تبوءُ بالسلمِ المُحَافظِ في تفاصيلِ الزمَانِ

أمامَ عينكِ يا سنينْ..

ترنو إلي السيفِ المُهَيِّئ للصُفوفِ

لتهذيبِ اعوجَاجٍ قد تَمادَى

في خُطَى شيطانٍ رَجيم..

تَهَبُ المواسمَ والمعالمَ والملاحمَ والملامحَ

والسُلالةَ

والخيولْ.

ونَذُوقُ بهجتَنَا من طعمِ دمعتِنَا ونضحكْ..

أجَلْ.. نَضحكْ..

ألسنَا كبرياءَ الشمسِ

أبناءَ النهارِ

الواضحينَ

الصاعدينَ من الجذورِ..

الغارسينَ للبذورِ..

الكادحينَ الطيبينَ..

المسلمين المسلمين

المسلمين..

ذَوِي الصِراطِ المُستقيمِ..

ذوي الرباطِ المُستديمِ..

ذَوي الصَلاةِ نحوَ قِبلتِنَا التي ما فتئَ يَحملهَا فوقَ فطرتِهِ

التَفهمُ

والقَبُولْ.

ونذوقُ بُشرانَا من وهجِ فَحوانَا ونعشقْ

هَذي الخُطَى المُزهوَّةَ

الديمومةَ الأنسنةِ والتشجيرِ

والتحذيرِ لِمُروقِ صَخَبِ السَامِريّ..

ابنِ الضياعِ السَرمديّ..

في أن تُكَبِّدَهُ المَزيدَ من المَسَاسَ

اللايَزُولْ.

والأرضُ تَلبسُنَا..

لِتوحِي ما تشَاؤه من مَلامِحنَا..

فتَدُّبَ فِينَا الذكرياتْ غَزَلا وخَجَلا..

وتَسِيل منا الذَاكِرَات أملا وأزلا..

وتُقيمُ فينا ما استطاعتْهُ

الفُصُولْ

• • •

ونقولُ للثقَةِ الصديقَةِ

تعالي فينَا لتُبرهِنيكِ بِنَا..

فتَأخُذي منَّا الحقيقةَ والدَليلا..

كنَّا انشغلنَا بِنَا قَليلا..

فاشرأَبَّتْ شهوةُ العهرِ الصفيقِ في قفَا

المَجهولْ.

لكنَّهُ المعروفَ عليٌ هُنَا...

ينبئْكِ إنْ شئتَ عن معانينَا

حينَ أوحى لدمنَا الاشتعالْ..

تماثلَ في حُضْنِ أراضينَا قرابينًا فَسَالْ..

راحَ يُنْشِبُ جذرَهُ القاني لبرعمَةِ الحلالْ..

ليغيبَ فينَا انفعالا ثمَّ يأتينا

فَعُولْ.

وتَعالِي صاغرةً أيتُّهَا الثقة..

ولتَرتَدي هذا الوضوحَ لتسكُنينَا

فنقضّ مضاجعَ النسلِ البذيء..

نَدوسُ أعنَاقَ الرَديء..

نمجُّ في عينْ الدنيء..

هذا اللُّكاع ابن الرعاع ابن الكَلالةِ والفُضُولْ..

ابن الخداع ابن التمرس في اكتمال الانقطاع..

ابن اليقينِ لَدَي السليقةِ أنَّهُ للشَّرِ باعْ..

ابن التقهقرِ في معادنه

أمام دمِنَا الصاخبِ العلنيِّ

ما بين الحقيقةِ والصِراغْ..

ابن الوباءِ ابن البغاء ابن الصُداعْ..

ابن الملالةِ والسفالة والخُثالة والتَبولِ

والمَبُولْ.

جاءَ إلينَا من مراحيضهْ وسالْ..

شذَّبَ الوسخَ المرابطَ في جدائلِه وبكلِّ عُهرٍ أتى

وقالْ..

أخفيتُ رِجسِي في دُبرِ لَيلِي..

وأتيتُ مَصحُوبًا بويْلِي..

ولَسوفَ أُزَوِّرُني بإسرائيلَ

طهارةً ورؤى

بتولْ!

هذا القميءُ المكتظُ العفنْ!

عن أيِّ إسرائيلَ تحكِي..

يا ابنَ الذي من خيرِ فَضلاتِنَا أكلتَ اجتهاداتِ السمادْ..

لتدخلَ وجهَكَ خلسةً في تفاصيلِ البلادْ..

تبصقْ عليكَ بَيادِرُنَا أيها القَفرُالهلاكْ..

ونُعَرِّي وجهَكَ قُدَّامَ القُرنفلِ و الحَصادْ..

فانظرْ إلي هذا انتشائكَ بالسوادْ..

وانظرْ إلي هذا اسودادِكَ بالبِعادْ..

وانظرْ إلي هذا ابتعادِكَ في اقترابِكَ

وانتهائِكَ في

الدُخولْ.

عن أيّ إسرائيلَ تحكي؟ !!

حاشَى ليعقوبَ الأبوة..

لقرفٍ تفتقَّ من وسخْ..

ثم صارَ القرفُ آلا في الصحاري..

ثم آلَ الآلُ من تيهِ المسارِ إلى الضياعِ..

ومن الضياعِ إلي الضَياعِ

إلي الفَناءِ إلي التَفانِي في

الذُبُولْ.

عن أيِّ إسرائيلَ تَحكِي؟!

وإسرائيلُ عليٌّ هُنَا..

في معصمِ التوحِيدِ مكتظّ الظِلالْ..

نراهُ في وهجِ الهِلالْ..

يَشعُّ نسقًا عامرًا فوقَ

السُهولْ.

عن أيِّ إسرائيلَ تحكي؟ !

وإسرائيلُ شعبيٌّ هنا..

فوق المصاحفِ والمآذنِ والحلالْ..

ويُعلنُكَ تلفيقًا وكَذِبَا..

ويعلنُني تشريعًا وعَلنَا..

ولتأتِي بشَريًا هُنيهَة

كي تُكذُبَنَا إنْ استطعتَ..

ثم امضي بِقردكِ..

نحوَ انتشائِكَ بالشّجارِ وبالدمارِ..

وبانطفاءاتِ

الفُصولْ.

ليس لكْ في ها هنا إلا ازدرائكَ..

فامتطيهِ لكي تَؤول نحو ما لستَ تعرف

وتؤول..

تؤولُ تأكيدًا وبرهانًا وعُنوَة..

تؤول قصدًا وتؤول عفوا..

تؤول عن عَمَدٍ وسَهوَا..

تؤول علنًا تؤول جهرًا تؤول جدًا..

تؤول مرفوقًا بلا أمٍ لأمِكْ..

تؤول معروفًا بِعُهرِكْ..

تؤول نسبيًا وجزئيًا وكلّكْ..

خارج زمانِ الوقتِ..

حيث لا زمنا هناك

ولا مكان ولا مقام

ولا بلاد ولا معاد

ولا حياةَ ولا نجاةَ

ولا مسيح ولا ضريح

ولا رسوم

ولا طُلول.

• • •

لا شيءَ يُشبهكَ هُنَا

واستَفتِ رأسكَ..

هيَّا استفته..

أو لقِّحْ هويتَكَ بيأسِكَ

لن تجدَ رحمًا يحتويكَ وتحتويهْ..

لن تجدَ وحمًا يشتهيكَ وتشتهيهْ..

لن تَجِدَ إلا أن تؤولَ علنيًا لحتفِكْ..

بدونِ ريبٍ أو تريثْ أو توجُس أو

حُلولْ.

• • •

هذا كلامُ الأرضِ يا أبناءَهَا

ومحمدٌ فيها الوَصايَا والهِدايَة..

والأهبة والمحبة..

والتعدة والتؤدة والمودة..

والمعالم والسلالم

والوُصُولْ.

هذا كلام الأرضِ يا أبنائَهَا...

والأرضُ إنْ قالت.....

يَزولْ.

أَوَ لَمْ يَفْهَمُوا بَعد ؟!!

حَلَّتْ عَلى قَلبي انْدِهَاشَة..

سَكَنَتْ على أحبالِ صَوْتِي..

تَنشُدُ

الجَمرَاتْ.

معذورةٌ لُغَتِي ..

هذا التَوَاطؤُ مُقرفٌ ويُدهِشُنَا ..

بدءًا من شَغَفِ العَبيرِ بِنَهرِ مِصرَ إلى

الفُرَاتْ.

يُربِكْ هدوءَ الحُلمِ

أينَ يَرتاحُ الوَقارُ

فوقَ صُلبِ

الذَاكرَاتْ.

معذورُ التَأَفُفِ قَلبي إذن..

ومعذورةٌ رِئتي وشَفتي ولُغتي

وسِّري وعَلني..

صارَ القَوادُون أبناء القوادين

يَدَّعُووا أهليةَ الشَرَفِ أمامَ خَجَلِي

ويَتَّخِذُوا من جَماهيرِ العَفَافِ بِجَبهَتي شَرفًا

وذَاتْ.

جَاءَ الغُرابُ يُعلمُ العصافيرَ النَشيدةَ..

أَدخَل نَعيقَهُ في كلِّ شَيءٍ..

كُل شيءٍ..

حتى في رحيلِ الموقف الرَسميِّ

وفي رحيقِ الشارعِ الشَعبيِّ

وفي عيونِ قصيدةٍ قد أرهقتها

سَمَاجةُ

الكَلماتْ.

يا أَيُّهَا السُكانُ في عربِ الجَزيرة..

يا أَيُّها الأشجارُ في الشامِ الأميرة..

يا أَيُّهَا التَوحيدُ في مصرَ الجَسُورة..

يا أَيُّها العِرْقُ العِرَاقِيُّ المُحَلَّى بِوَشْمِ للقُدسِ الطَهُورَة

يا أَطلسَ الشُهداء في عينِ الجزَائر

ومرفأ الافياء في فاسِ الفَخورَة..

اندهشْ.. واندهشْ.. واندهشْ...

من أخمصِ الدَّمِ إلي أعلي جَبينِ

الذكرياتْ.

مَارِسْ زَفِيرَك مُرغَمًا من أَنفِ أرضِكَ..

وانزفْ هواءً فاسدًا

نَفخَتهُ فِيكَ وَسَاوِسٌ

وتَجَّهُماتْ.

نَصَبُوا لِلحْيَتِكَ اللِّحَى شَركًا

على دربِ القَدَاسَةِ

ليطالوا في دَمكِ

الصَلاةْ.

فاتَّحِدْ أكثر وأكثر

بخيرِ مَدِّكَ..

بلغةِ دَمِّكَ..

بجذورِ جَدِّكَ يوم تركَ بَياضَ سَيفِهْ

يُرضِعُكَ السَلامَ..

و ماتَ بَعدمَا أَحيَى

الحَياةْ.

يا أيها الشعبُ المُخبأُ

في عيونِ محمدٍ..

كل العيونِ عليكَ

من غربٍ وغربٍ وغربٍ..

ومن بُعدٍ و وَسَطٍ و قُربٍ..

ومن بُومٍ وبُوشٍ وكَلبٍ..

فَارْفَعْ عُيونَكَ نَحوَ سَيفِكَ

وافْتَتِحْ سُبُلَ

الحَياةْ.

كلُّ اللذينَ يُحاصِرُونَكَ

إمَّعَاتْ.

نَشَئوا في رَحمِ الفَراغ..

حَطُّوا بأمعاءِ الحَديدِ

وتَسَّللوا لَيلا إليكَ..

مَضَغتْ حَضَارةُ رُشدِنَا يَدَهُم..

فَتلفَظَتهُم

مُهمَلاتْ.

لاشيءَ فِيهِم

قد يُثيرُ في مفاهيمِ الوضوحِ مجازًا عابرًا

أو أبيضا يهَبُ الحياةَ رغيفَ خبزٍ

أو فُتاتْ.

أخلاقهم فلتات..

أحلامهم نكسات..

أشيائهم هفوات..

أفكارهم أموات..

تاريخهم حسرات..

إيجابهم لاءات..

في المُطلقِ الكُحلِيِّ

زرعوا وَجهَهُمْ

وأَتَوْا إلينا بأرضنا

يَستثمِرُوا

الظُلُماتْ.

• • •

يا كلب أمريكا البِدَائِيّ النُبَاح..

نحترم صاروخَ حِقدِك..

ونُريقُ دَمَنَا سيدًا سَهلا

لحَضرتِه مَادامَ حين يَسيل يَزرعُنا

نَبَاتْ.

يا قرد أمريكا..

لِنَعلِي مَوقفٌ شَعبيٌّ مع ذي هَامَتِكْ..

فَلتَجتَمِعْ مَعَهُ

لِيَبُثُكَ التَرحِيبَ

إن جَازَ لِدولَتِكَ الحديثةِ أن تقيمَ مع عَراقَتِهِ القديمة

مُفاوَضَاتْ.

يا كل أمريكا تعالي وانظري جَذْرِي

لتَبكي ثُم تَبكي ثُم تَبكي

حينَ لا تَجدي سِوايَّ فوقَ هَذي الأرضِ

تاريخًا مُجَازًا من كلِّ العَناصِّرِ في

الحياةْ.

• • •

سبحان ربي.....

كُلَّمَا مَدُّوا الفَراغَاتِ

بأرضٍ من دمائي..

بَصَقَتْ علي يَدِهِم سَمائي..

وأوجَزَهُم في

السَخَافَة.

ويعودوا ثانية !!

ليبحثوا عن الملكوتِ ولا يَجدوهُ في أحدٍ سِوَايَّ

ولا يجدُوا بِهِمْ إلا

الخُرَافَة.

أَوَ لَم تَفهَمُوا بَعد؟!!

- أيهؤلاءِ المارقون من الانحطاطِ -

كيف نسكن في السماءِ ونَلْتَحِفْ أَرضَ الجُدودِ على

خَوَاصِرِنَا

الْتِحَافَا ؟؟

لا تُدْهَشُوا يا أغبياء..

هي أرضُنَا..

فُطِمَتْ على دَمِنَا

ونَعرِفُهَا وتَعرِفُنَا

ونشهدها وتشهدنا

ونملكها وتملكنا

ومسجلٌ في كُلِ ذَرَّة من ترابِ محمدٍ

ابني..

ومسجلٌ في كلِ قَمْحَة من حقولِ وراثَتِي

حضني..

ولدينا من دَمِنَا سَيَادَتُهَا

ولدينا من دَمِهَا

الحَصَافَة.

لا تُدْهَشُوا أبدًا..

تعالوا خائفين فقطْ..

لدينا من مَصْلِ الترابْ نمطْ..

لنَحقِنكم بِهِ إمّا رَدتُمْ علَّها إن تلعن الارضُ خطوَتَكُم

سَتَلتَزِمُوا

الكَفَافَا.

• • •

جِئتمْ إليَّ في العراق ؟!!

أهلا وسهلا !!!

سنريقُ من دمنا الفراتَ

ونَمدُّ فوق رَأْسْكُمُ

ضِفَافَه.

والشَامُ يَنتظرُ المزيدَ من مَدٍ زَنيمٍ..

ولقد أوقَدَ الشَرَفَ العُرُوبيَّ الأصِيل

لِيُشعِلَ الدَمَّ

عَفَافَا.

• • •

تَعَالَوا مُحبَطينَ فقطْ..

هو داعيَ الإرهاقِ

فاكتشِفُوا قَباحتَكُم بِشكلٍ أَجمَلٍ

لَّا نُميطُ عن وُجوهِكُم نِفْطَ

الغَلَطْ..

فَتَرُوا الفَراغَ مِلءَ أنفسِكُم..

ولا تَجِدوا لَديكُم في البقاءِ هَاهُنا جَدوى..

ولا جدوى حتى لتَتَوَخُوا

انصِرَافَا.

أَشعلْ قَنَادِيلَكَ يا دَمِي العَرَبِي..

مِدّ المزيدَ منَ المَدَدْ..

أَرِهِمْ أريجَكَ مُقنِعًا

في عُنقِ أحلامِ

البَلَدْ..

أَجِّجْ وَعِيدَكَ واكفَهِرْ

كي تُمطرَ النَقَمَاتِ سوداء..

فَتَنشُر فوقَ حِلمِهُمُ

الجَفَافَا.

اليوم شَعبِيٌّ

تَدَثرَّ بالدعاء..

طَرِدَ الخَدَم..

ليعدَّ دمَهُ بِملءِ يَدِه

فَتنهَلُوا المَوتَ

جُزَافَا.

واليومُ شَعبيٌّ

ونبض من قلوب واحدة..

وأملٌ في عيونٍ وَاعِدَة..

والجامعُ الأُمويُّ يَتلو المَائِدَة..

وأرَي المسيحَ يَشُدُّ سَيفَه..

كي يقودَ تَوَجُهَاتي نَحوَكُم

فنُعِيد للمعنَي

شِغَافَهْ.

عارٌ عليكَ .. هَذِي العِراقُ عِرَاقُنَا

هل كنتَ تَنتظرُ المَزيدَ

لِتقتلَ الثقةَ

الأخيرة ؟

جاءَ الغَلَطْ..

خُذْ من معانيكَ العقالَ فقطْ..

واعقِلْ به فَمَكَ

كيّ لا تتحدثَ العربيةَ..

فتكتملَ الوضاعةُ فيكَ

والسبلُ

الحقيرة.

لا تشبهُ الصَحراءَ في شيءٍ قَطْ..

لا رمل فيك ولا اتزان للترابِ..

لا نوق فيك ولا توهم للسرابِ..

لا شيء فيكَ منها

قَطْ..

سوى القَحطْ..

فاسلُكْ هوانَكَ واستتبْ

على القِفارِ ونزعةِ الذُلِّ

الكبيرة.

هل كنتَ أدمنتَ الليالي من وراءِ الشرقِ فينا..

فاستلهمَ الغَربُ اسودَادَكَ واستَبَاحَكَ

وِفقَ عادتِه

الحَقيرة ؟

أم صنَّعوكَ بالعبَاءَةِ في مَخابرِهمْ

فجئتَ تنتهجُ القِراءةَ مَكسِّرًا لتكبكبَ الأحلامَ بلهاءً

على هذي

الوَتيرَة؟

من أين اشْتُقتَ بِربِّ كعبتِنا

وهل العروبةُ أصيلةٌ فيكَ ؟

طَمئنْ حذائي

أيها المبهم هناك..

فقد أثقلتنَا ليلا وويلا

وانتهاكاتٍ

كثيرة.

• • •

يا مُتَّسِخْ...

عارٌ عليك..

هذي العِراقُ عراقُنَا.

كيف سلَّمتَ السَحابَ

إلي الضَبابْ؟

كيف ترمي لَحمَ أبنائي الصَغارِ

إلي الكِلابْ؟

كيف يَأتيكَ مَنامٌ مُطمئنٌ

وعيونُ أمِّي في انتَحابٍ

واكتئابْ؟

يا أيها الذنبُ الكبيرُ في أعمالِنا

دَعنَا نَتوبُ إلى اللهِ منكَ

دعنا نَتوبْ..

حِلَّ عن أحلامِنَا يومًا ضَئيلا

أثقَلتَ كَاهلَنَا ذُنُوبْ..

ولقد كرَهنَا سَياسَتَكْ

ولقد كَرهنَا تَياسَتَكْ

ولقد كَرهنَا وِرَاثَتَكْ

ونُرِيدُ فِعلا أَنْ

نَتُوبْ..

لِمَتى تُحمِّلُنَا خَطايَا جَاثِمَة فوق

الرِقَابْ؟

هيَّا انْدَثِرْ...

لِيَعُودَ في عَربِ الكَرَامَةِ

غيمُهُ الفَجرِيُّ في فَصلِ

الصَوَابْ.

هيَّا انْكَسِرْ...

يا مرهقا لِقَوافِلِ التُّجَارْ..

ومرهقا لِبَنادقِ الثّوَارْ..

ومرهقا لِسَلاسَةِ الأَمطَارْ..

ومرهقا لِحَصافَةِ الأَشجَارْ..

ومرهقا لِمُقَرَّرِ التَدرِيسِ

في كِتَابِ اللهِ..

حتَّى لآيَاتِ

الكِتابْ.

• • •

هذي العِراقُ عراقُنَا

فيها الدِماءُ من أُصولِي..

فيها وُصُولي..

نحو تَحنَانِ

المَآبْ.

يا إمَّعَة عَارٌ عليكَ..

يَكفِي تَكالُبْ..

أنهَكتَ جِلدي كي أُطَّهرَهُ منكَ حَكًا

بِالتُّرَابْ.

دَعني أَسيرُ وِفقَ دَمِّي

نحو اندهاشِ المَوتِ فيَّ..

نحو انتِصَارِ الدَّمِ حين يَتَّكأُ

على حَوَافِ

الانْقِلابْ.

وأنَا مَلَلْتُكَ..

إنِّي مَللتُكَ..

وَزِّعْ عذابَكَ بِالتَّسَاوِي فوق عَينِ الأَسئِلَة

وارْحَلْ بَعيدًا..

أنا لَستُ انتَظِرُ

الجَوَابْ.

إنِّي عَرفْتُكَ

دُميَة بَدَوِيَّةً

ولدَيَّ من فيضِ الكِتَابِ فَضَائِحُ

الأَعرَابْ.

• • •

آهٍ يا ذاكَ الغبيّ بِصحرَائِي

تَريَّثْ يا ذاكَ

الغَبيّ..

مَا كنتَ تَشهَدُ أنَّ الدَّم يَشهدُ

أنَّ مُحمَّدًا فيهِ يَملؤهُ بِالسِلمِ المُقَاتِلِ

والسَخِيْ ؟

لا تَفجعَ الشِّريَانْ..

لا تُحزِنَ الأَحزَانْ..

فهنَاكَ ابنُكَ يَختبأْ

وهناكَ عِرضُكَ يَستَتِبْ

وهناكَ إِسلامُكْ نَمَا

في الفَجرِ وَردًا

عَبقَرِيْ.

أَمَا تَرَى أُمِّي هُنَاكَ

تُوقِدُ الحُزنَ الحَنِيفَ

وِفقَ فِطْرَتِهَا الرَءُوم

لتَخبزَ الفَجْرَ

الشَهِيْ ؟!!

أَمَا تَرَى أُختِي هُنَاكَ

تُقلِّبُ المَوتَ صَبَاحًا

فوق نِيرَانِ دَمعَتِهَا

لتطهُو في ضميري من حَشَاشَتِهَا شَرفًا

عَفِيْ ؟!

أَمَا تَرَى عينَ الفُرَاتِ

تَدْمَعُ الجُثَثَ الصَّغِيرَةَ..

هَؤُلاءِ أطفَالِي الصِّغَارُ

أيُّها الغِرُّ

الغَبَيْ.

• • •

بغداد يا قَلعَةَ رُوحِي

حيثُ تَرتَاحُ الصَبَابَة المُوجعَة

في نَزعَةِ الرُّوحِ

السَّفيرَة..

بغداد يَا مِهبَطَ خَلجَتِي

حيثُ انعتَاقِي يكونُ أجمَلَ

ما دَامَ يَنعُمُ في ثَرَاكِ

جُثةً كُنتُ أو نَسمَة

أَسيرَة..

سَلامٌ على شَغَفِكْ بِدَمِّي يا بغداد..

سَلامٌ على بِرِّكْ بِأُمِّي يا بغداد..

سَلامٌ على غَضَبِكْ بِهَمِّي يا بَغَدادَ

المَنارَةَ والحَضَارَةَ

والبِدَايَةَ

والأَخِيرَة.

وأُحِبُّ دَمَّكِ يا ابنَةَ الأَحرَارِ

يَسكُنُنِي..

لأَنهَشَ العَارَ الذي بَذَرَتْهُ صَحرَاءُ التَّبَجُحِ

فوق رَوضَتِيَ

الصَّغيرَة.

كُنَّا نَعدُّ النَارَ فيكِ

كي نَشوِي الرَّحِيلَ في أُمسياتِ رُجُوعِنَا

نحو السَّوَافِي والقَوافِي

والمَضَارِبِ

والعَشِيرَة.

كُنَّا نَدُقُّ سِلاحَنَا كي تَكتَمِلْ فِينَا

السَلامَةُ..

فَنَعودَ أَجوَدَ صِحَّةً

لِلأبجَدِيةِ والخَصَافَةِ والكَرَامَةِ

والبَنَادِقِ

والذَّخِيرَة.

لكنَّهُ جَاءَ التَوتُرُ..

سرِّبْ جَوَاسِيسَهْ بِهَمِّي..

يُرِيدُ أَنْ يَغتَالَ جِلدِي بِإصبَعِي

فيسيلَ دمِّي فَوقَ دمِّي..

مَا كُنتِ يَا بغداد أُمِّي

إنْ جَازَ لِلعَبثِ الإِعَاثَةَ

في التَّرَاتِيلِ

الأَخِيرَة.

كُنِّى قَلِيلا في حِصَارِكْ
أَوْ دَعْنِي كَثِيرًا لأَكُونَكْ

(إلى الشاعر عمر الهباش)

خَامَرْتُ قَلْبَكَ...

فَانْتَبَهْتُ لَخَلْجَتِكْ

يَا سَيِّدَ الحُلُمِ

الجَمِيلْ.

قِفْ بِي عَلَيكَ..

لآتِي منْ جَوَانِحِ دَمْعَتِكْ..

في شَكْلِ آيِّبَةٍ

تَسِيلْ.

وتَعَالَ نُضْحِكُ مَا سَوفَ لَنْ تدرَسَهْ

آفَةُ اللّيلِ

الذَلِيلْ.

طَلَلٌ هُوَ الحَاضِرُ..

إِذَا مَا طَلَّ منْ

سَطْحِيَّةِ المَعْنَى

وعُمْقِ

المُسْتَحِيلْ.

أَمَّا المَلامِحُ في وَجْهِ البُغَاةِ..

فَمُبْهَمَةٌ..

ولا مَعَالِمْ ..

ومَا رَأَيْنَا في الطُغَاةِ أَيَّ عَادِيَّةٍ

تُلائِمْ..

لِحَيَاةٍ

سَتَطُولْ.

ولَيسَ في وُسْعِ المُرُوقِ

- بَعدَمَا الكَون اخْتَتَمَنَا في حَضَارَاتِ الجَمَالِ -

أَنْ يُشِيدَ سِوَى مَوَادٍ لِدَمَارٍ.. وخَرَابٍ... وسَوَادٍ..

وغِيَابٍ يَعْرِفُهْ..

وحُضُورٍ

لا نَبِيلْ.

وأَمَّا أَنتَ...

فَأَنْتَ أَنْتَ..

تَأتِي مُبَاشَرَةً من أَسَارِيرِ الوِرَاثَة..

وتَدْخُلُ في الظِلالِ - ولا مُتَحَرِّجًا فِيكَ اخْتِلاجٌ أَو حَلالْ -

في حَضْرَةِ الشَجَرِ

الأَصِيلْ.

وأَنتَ أَنْتَ...

في المِيُولِ إلى الحَيَاةِ..

وفِي الجِبَالِ.. وفي السُهُولِ.. وفِي الفَلاةِ..

وفِي المَغَارِبِ .. والمَضَارِبِ.. والفُرَاتِ..

وفِي تَرْنِيمَةٍ مِصْرِيَّةِ الآهَاتِ..

وفِي تَرْتِيلَةٍ فَجْرِيَّةِ الخَلَجَاتِ ..

وفِي القَدِيمِ مِنَ الطُلُولِ..

وفِي الحَدِيثِ مِنَ المُطِلِّ بِرَحْمَةٍ عُلْوِيَّةِ الجَنَبَاتِ

مِنْ فَيْضِ رَحْمَنٍ

جَلِيلْ..

وفِي الدَلِيلْ.

وتَحُدُّكَ الأَرضُ منْ كُلِّ الجِهَاتِ..

تَنَامُ فِيكَ رُؤىً لِبَحْرٍ يُشْبِهكْ ..

ولَدَيكَ منهُ زُرْقَتُكْ ..

ولَدَيْهِ منكَ تَنَهُّدَاتٍ منْ

صَهِيلْ.

شَجَرٌ هُوَ الغَافِي على رُوحِ المُعَجَّلِ منْ أَهَازِيجِ جَمَالِكْ..

حِينَ تَبزُغ من حِصَارِكْ كَيّ تُطَمْئِنَنَا عَلَينَا

منْ رِثَائِكْ..

من جَفَافِكْ..

من لَيَالِيكَ الطَوِيلَة..

من أَغَانِيكَ النَبِيلَة..

يا نَبِيلْ..

من دُمُوعٍ مِلْحُهَا سُكَّرِيُّ الطَرَافَة..

لِتُطَيِّرَ أُمَّةً مِنْ عَصَافِيرِ المَسَافَة..

تَنْقرُ الأَرضَ وتَزْرَعُ في خَلايَاهَا نَهَارَكْ..

ثُمَّ تُعْلِنُكَ

حُقُولْ.

وتَقُولْ...

- إذْ أَنْتَ بَدْرِيٌّ ومُكْتَملٌ وللفَجْرِ رَائِحَةُ السَمَاء لِيَعْرِفَكْ

وأَلْفُ شُبَّاكٍ يَطُلُّ على البَيَاضِ لِيَكْتُبَكْ -

مَنْ ذَا سَيَخْنُقُ أُغنِيَاتِي..

والسَمَاءُ تُقِرُّهَا في مَنْهَجِ الأَرضِ غَيْمَاتٌ

بَتُولْ ؟

وأَنَّى لَكَ أَنْ تَزُولْ ؟!!

والمَكَانُ عُمَرِيٌّ..

لِيَفْرِقَ مَا بَينَ عَيْنِكَ في النَدَّى..

وجَلافَةِ الإِطلالِ منْ عَيْنِ

الذُبُولْ.

والخَيْرُ خَيْلُكَ ...

أَنتَ ظُرُوفُهُ..

سِرْ على رِسْلِكْ

أَو عَجِّلْ قَلِيلا أَو كَثِيرًا

سَتَأْتِي - لامَحَالة - مِنَ المَشِيئَة

صُرُوفُهُ..

وتَعرِفُهُ إِذْ يَعرِفُكْ..
قَدَرُ الإِلَهِ وأَخضَرًا إِذْ أَنْبَتَكْ..
من بَوَاكِيرِ
الفُصُولْ.
ولَدَيكَ عَافِيّةُ الشِتَاءِ ..
وَصَايَا الأَنبِيَاءِ ..
أَزَاهِيرٌ لَهَا طِيبُ التَجَذُّرِ..
والتَفَانِي فِي التَحَضُّرِ ..
لِلوُصُولْ.
عَرَبِيٌّ - يَا بُشْرَايَ - مِثْلِي...
نَاهِيكَ أَنَّهُ ابن أُمِّي..
أُسرَّةُ لِلأُغنِيَاتِ
فَيَسُرُّنِي بِالأُمنِيَاتِ..
حِينَ تُعلِنُنَا المَلامِحُ
والجَوَانِحُ
والتَمَاثُلُ
والأُصُولْ.

أَثنَاءَ فَاتحَةٍ على قَبرِ وَطَنْ

(إلى أُخي مؤنس أسأل الله الرحمة له
ولكل المسلمين الذين سبقونا إليه)

لازِلتَ سَهْلا ...

فَخُذْ مَا استَطَعْتَ من الرَحِيلْ..

فلستَ تَغيبُ لكي

أَفقِدَكْ.

ولا زالَ في القَلبِ صَبرٌ جَميلْ..

يرى في النَخيلِ لهُ

طَلعَتَكْ.

ولا زِلتَ سَهلا...

فَأَهلاً وسَهلاً بِشَفَةِ القَليلْ..

مَمَنْ جَاءَ لكي

يُزعِجَكْ.

وأَهلاً وسَهلاً بِكُلِّ انحِنَاءٍ

يَجيئُكَ فوقَ سَيفٍ أَنِيقْ..

يُهادِيكَ اِيَّاهُ كي

يَختُلَكْ.

ولا زِلتَ سَهلا...

فَدَعْ مَا يُرِيبُ السَهلَ إِلَيهِ..

إلى مَا لا يُرِيب الصَعبَ عَليهِ..

وهَبْ لي عَينَكْ.. أرى

خَطوَتَكْ.

وكنتَ تمامًا مِثلَ البِلادِ...

تَشَقُّ الضيقَ رِحَابًا شَهِيَّة..

ولَستَ تُبَالِي أَنْ

يَقتُلَكْ.

تَجُوبُ الذُبُولَ رَحِيقًا مُحَتَّمْ...

أَمَا كُنتَ تَعلَمْ ..

أَنَّ الذي تُوزِعُهُ ابتِسَامًا..

سَيَعبَسُ لكْ ؟

سَقَاكَ اللهُ الظُرُوفَ السَلِيمَة..

وسَكبَ الظِلالَ على حُسنِ ظَنِّكْ..

وحَطَّ بِقَلبِكَ كُلّ الحَمَامِ..

وخَارِجَ وَجَعِكْ قَضَى
مَسكَنَكْ.

• • •

سَالَ الكَلامُ على خَدِّي حَتَّى
تَمَلمَلَ أَرَقًا جَفنُ الوَرَقْ..
فَخُذْ من مَخَاضِ التَمَزُّق سُؤَلِي
أَلِي يا حَبيبِي أنْ
أَسَأَلَكْ ؟
لماذا تَنَامُ هناك وَحِيدًا..
وكُنتَ الجَميعَ إذا ما زَارَ الهَوَى
مُفْرَدَكْ ؟
لا رَغبَة في رَدٍّ علىَّ...
فَقَطْ أَقضِي حَاجَةَ في نَفسِ عَينِي..
لِتَرمِي بِبُهتَان من
رَوَّعَكْ.

أؤرِّخُ حُزنِي أَيُّهَا الطَّيِّبُ...

أَرجُو اللهَ

أَنْ لا يَكُونَ حِصَارُ الكَآبَةِ قد

أَرَّقَكْ.

سَأُلقِي القَوَافِي عَمَّ قَرِيبٍ...

وأَشتَاقُ مَوتِي كي

أَلحَقَكْ.

فهذا الفَضَاءُ خلال انطِوَاءٍ..

تَقَاذفْهُ اللّيلُ حتّى

احتَلَكْ.

وبِدءُ الحَياةِ أَرَاهُ انتِهَاءْ..

كأنَّ التُرَابَ حدُودُ

الفلَكْ.

فَليتَ شِعرِي أَيُّهذَا البَقَاءْ..

لو تُمَسِّحُنِي بِالتُّرَابِ..

لَعَلّي أَنبُتُ في ذات فَجرٍ

وَطَنًا يُعَجِّلُ

ما أَجَّلَكْ.

• • •

أخِي يا حَبيبِي...

تُسَلِّمْ غَزَّة عَليكَ كَثِيرًا..

شَرِبْتُ الصُبحَ مَعَهَا شَايًا..

ودَلَّكتُ قلبي بِدفءِ يَدَيْهَا..

فَصَارَتْ تُعَبِّدُ نَبضِي

طَرِيقْ.

فلا تَتزَعِجْ..

لم أَنسَ أَرضًا نَمَتْ في ضَميرِكْ..

فَصَارَ الثرَى تَحتَ قَدَمِي

عَقِيقْ.

ولم أَنسَ أَينَ البِلاد تَبِيتُ ..

لَدَيَّ مَفَاتِحُ كُلّ الزَوَايَا..

وفي كلِّ فَجرٍ أَتلُو الوَصَايَا ..

وبِالأَمسِ حتَّى لَمَحتُ بِعينَيكَ منها

بَرِيقْ.

دُهِشْتُ حتَّى ضَحِكَتْ دُمُوعِي..

وخَامَرَ قَلبِي وَجَعٌ

رَقِيقْ.

فَأَيقَنْتُ أَنَّ الحَياةَ تَمُوتُ

إذا ما ادَّعَاهَا ذُلٌّ

طَلِيقْ.

وأنَّ البِلادَ لها أن تَنَامَ

لعلَّ الحُلمَ بِها

يَستَفِيقْ.

غَدًا سوفَ أَنْبِأُهَا بأَنِّي

تَمَالكتُ عُمرِي لأَجلِ مُنَاهَا..

فخلِّ العُمرَ لمن قد

يَطِيقْ.

ولا بَأسَ أَنْ تَكتَحِلَ

بِعَينِي..

وتَمضِي إِلى حَيثُ مَوتِي

يَفِيقْ.

سَيُصبِحُ مَوتًا لَذِيذَ الحَيَاةِ...

حينَ يَكون الوَطنُ

رَفِيقْ.

سَلامٌ عَليكَ أَيُّهَا الوَطَنُ

الشَقِيقْ.

الشاعر في سطور

- شاعر وطبيب فلسطيني
- من مواليد مدينة خان يونس في ١٩٧٨/٠٨/٢٢
- تخرج من كلية الطب بجامعة تلمسان، الجزائر
- صدر له:

- حَبَّذا الأرْضُ تقُوْل: ديوان شعر

شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٠

- البريد الإلكتروني: abed891@yahoo.com

n

- قصيدة المصباح ٧
- عريت نسائي أحسنت إلى إذ قمت بذلك ٢٥
- ومن اليهودي ما يضحك يا بن صابر المقدسي ٢٧
- أرأيت كوابيس دمانا ؟ ٤٣
- قم يا دمي ٥١
- تنهيدات في السنة الجديدة ٦٧
- لن أرش التهنئات على عيونك ٧٧
- حبذا الأرض تقول ٨٥
- أو لم يفهموا بعد ١٠٥
- عارٌ عليك .. هذي العراق عراقنا ١١٩
- كني قليلا في حصارك ١٣٣

أو دعني كثيرا كي أكونك

- أثناء فاتحة على قبر وطن ١٤١

شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥
www.shams-group.net